آرسطو وكتاب فن الشعر

د: تريعة أشواق سنة أولى ماستر تخصص: نقد حديث ومعاصر

الفوجين 1،2

يستعرض أرسطو في كتاب (فن الشعر) مبادئ التكوين الفني. ومع أن هذا الكتاب يهتم بكثير من أشكال الإبداع الفني بما في ذلك الملهاة والملحمة والحوار وحتى الموسيقى والرقص إلا انه يركز بشكل خاص على عناصر المأساة. ونحن في الواقع لا نعرف الكثير عن مصير أعمال أرسطو بعد وفاته. ويعتقد انه بعد وفاته بمئتي سنة فقدت أعماله. ولكن عثر عليها وأعيدت إلى روما. ويقول لين كوبر، وهو من الباحثين البارزين، إن كتاب (فن الشعر) يعود تاريخه إلى ما قبل 323 قبل الميلاد. ويقول كوبر إن من ا لمحتمل أن يكون كتاب (فن الشعر) نسخة من محاضراته التي ألقاها في النقد الأدبي. وفي القرن الخامس عشر توفرت نسخ لكتاب (فن الشعر) باللغة الإغريقية في ايطاليا، وأصبح العلماء يسافرون إلى هناك لدراسة الكتاب. وشيئا فشيئا أصبح الكتاب قوة مؤثرة في نقد الشعر والدراما والأدب.وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية والعربية في العصور الوسطى مما وسع تأثير أفكار أرسطووعمقه.

وكما أن أرسطو يخصص معظم كتابه للمأساة، كذلك يخصص الباحثون المحدثون معظم اهتماماتهم النقدية لتقويم آراء أرسطو في المأساة. يعرف أرسطو المأساة بأنها "محاكاة لفعل خطير وكامل على جانب عظيم من الأهمية من الناحية الإنسانية." وتستعمل المأساة "لغة فنية جميلة." وتتميز بالفعل أكثر من السرد. وهي تحقق من خلال الشفقة والخوف ما يعرف باسم التطهر. ومن القضايا المهمة التي يثيرها الدارسون لكتاب (فن الشعر) هي معنى المحاكاة كما أراده أرسطو. ويحاول النقاد تحديد ما يجب أن يحاكى، وبذلك يدافعون عن مفهوم المحاكاة الدرامية ضد ما يمكن أن يفهم من أن موضوع المحاكاة اقل أهمية من الموضوع الأصلي المحاكى. ويقول جون دريبر إن كلمة محاكاة أسيء فهمها على نطاق واسع، وانه يجب فهم هذه الكلمة على أنها محاكاة الطبيعة لان الطبيعة هي "القوة الخلاقة في الكون." تشارلز بالدوين، من ناحية أخرى، فسر مفهوم المحاكاة بأنه تقديم شخصية الإنسان وعواطفه وأفعاله في شكل فني درامي. وقال لورنس بيرنز إن أرسطو كان يعني محاكاة الطبيعة، وقال إن هدف الفن هو ليس فقط محاكاة ما هو حقيقي في الطبيعة ولكنه محاكاة الكمال الممكن في الطبيعة أيضا. وقال آخرون إن المحاكاة تعني تقديم السلوك البشري وكل ما يحيط به من نواح أخلاقية. واختلف النقاد أيضا في ما يتصل بمفهوم أرسطو للمأساة و

خاصة في ما يتعلق بالتطهر. قال البعض إن المأساة عند أرسطو هي نظام مصمم لبلوغ هدف معين، وهذا الهدف هو التطهر. وقال آخرون إن التطهر الذي يتحدث عنه أرسطو هو تطهر أخلاقي يتعلم فيه المتفرجون ما يجب أن يثير فيهم الخوف والشفقة. أما الحبكة في المأساة مجال خلاف بين دارسي كتاب (فن الشعر). فأرسطو يؤكد الدور الرئيسي للحبكة الذي يفوق في أهميته جميع العناصر الأخرى في المأساة. يفهم بعض النقاد من كتاب (فن الشعر) انه بدون فعل لا يمكن أن يكون هناك مأساة، ولكن يمكن أن يكون هناك مأساة دون أشخاص. وعلى ذلك فان كثيرا من النقاد يقاومون فكرة أن الشخصية تخضع خضوعا كاملا للحبكة. ويجادل البعض أن كل ما يتعلق بالشخصية من قضايا في الحقيقة هو بفعل الحبكة. في الوقت نفسه هناك من النقاد من يعتقد انه لا يمكن الفصل بين الحبكة والشخصية في سياق نظرية أرسطو . ويقول هؤلاء إن الحقائق والظروف التي تتشكل فيها الشخصية هي الحبكة. ويبحث النقاد أيضا الخطأ التراجيدي الذي يرتكبه البطل ويؤدي إلى انهياره. وتقول كاثرين لورد إن هذا الخطأ هو خطأ بسيط وليس ناجما عن ضعف أخلاقي. وعلى أي حال فان كتاب (فن الشعر) لأرسطو كان له اثر بالغ الأهمية كأساس لتطور النقد الأدبي الغربي. ويقول لين كوبر إن كتاب (فن الشعر) هو واحد من أكثر الكتب التي أنتجها العقل البشري تنويرا وتأثيرا : يقع كتاب الشعر، أو على الأصح ترجمة متى بن يوسف القنائي لكتاب أرسطو طاليس في الشعر من السريانية إلى العربية في 293 صفحة من القطع المتوسط، وقد حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية الدكتور محمد شكري عياد. وقد ترجم كتاب الشعر إلى العربية في أوائل القرن 4 الهجري، وبدئت محاولة تلخيصه من قبل الفلاسفة العرب قبل ترجمته كاملا بقرن أو يزيد، وترجمة متى بن يونس هذه تعتبر جزءا من مخطوطة «الأركانون» المحفوظة اليوم في المكتبة الأهلية بباريس، وقد تناول هذه الترجمة بالدرس والتحليل كتاب ودارسون غربيون أمثال ؛مرجليوت وتكاتش. ولأن شكري عياد تحرى العلمية والموضوعية، كما يقول؛ فهو قد أثبت ترجمة متى كما هي، ونبه على أخطاء متى النحوية وكذا التي لها صلة بالترجمة وأقر تصويباته في هامش ترجمته الحديثة. والحديث عن أهمية كتاب الشعر في الثقافة العربية هو من قبيل تحصيل الحاصل، فهو من أشد المؤلفات صلة بحياتنا الفكرية، كما يذهب إلى ذلك زكي نجيب محمود في مقدمة الكتاب، وهو بعد يعتبر منجما مليئا بالأفكار القيمة في النقد الأدبي، بل لايزال المرجع الأول فيه، إذ لا مندوحة لدارس الأدب عموما، ناقدا كان أو شاعرا، من الرجوع إليه والاغتراف من معينه. وينسلك بحث الدكتور محمد شكري عياد، ضمن البحوث التاريخية، وقد قسمه إلى قسمين اثنين: قسم أول: أثبت فيه ترجمة متى بن يونس لكتاب الشعر، وقابلها بترجمة حديثة له، استدرك فيها على متى الكثير من الأمور والقضايا. قسم ثان: عرض فيه لتاريخ كتاب الشعر في الثقافة العربية، وخاتمة انتهى فيها إلى خلاصات واستنتاجات سنأتي على ذكرها. ويجمل بنا قبل هذا وذاك أن نشير إلى أن الشعر بالمعنى الأرسطي أعم منه في التداول العربي، فالشعر لدى أرسطو يشمل الموسيقى والرقص، وما نسميه تمثيلا ومسرحا بالإضافة

إلى الكلام المنظوم. وترتيبا على هذا فنحن لا نتنكب عن الحقيقة إن قلنا إن الشعر العربي ليس سوى جزء في «شعر أرسطو»، أو لنقل بلغة الاصطلاحيين هو لفظ ذو معنى مخصوص. المحاكاة: تعتبر «المحاكاة» مفهوما مركزيا في كتاب الشعر[نقصد ترجمة شكري عياد]، وتستمد أهميتها من كونها فطرية في الإنسان؛ فهي تنشأ معه منذ الصغر، وبها يتميز عن سائر الكائنات، وتمثل طرقة الأول في التعلم واكتساب المعرفة، ثم إن الإنسان يشعر بالالتذاذ وهو يحاكي أو وهو يرى شيئا محاكى . وقد أخذ أرسطو مفهوم المحاكاة هذا عن أفلاطون، وإن كان أفلاطون يتحدث عن محاكاة الأشياء المحسوسة، أما أرسطو فجعل المحاكاة للأشخاص والانفعالات والأفعال. وقد قسم أرسطو عن المحاكاة، إلى ثلاثة أقسام: + وسيلة المحاكاة: وتشمل الوزن أو الإيقاع واللفظ والنغم. + الأشياء التي يحاكيها الشعر، وهي إما نبيلة أو دنيئة. + الطريقة أو الأسلوب الذي يحاكى به. ويحاكي الشعر الناس في فعلهم، وهؤلاء إذ يفعلون يكونون أحد ثلاثة إما أن يكون الفاعل سويا مع الطبيعة البشرية أو فوقها أو دونها، أي إما أن يكونوا أخيارا أو أشرارا أو في منزلة بين المنزلتين، أي أن يكونوا أوساطا. وتبعا لضروب هؤلاء تختلف ضروب الشعر، ويأتي على رأسها التراجيديا/المأساة، وهي التي تصور الجوانب السامية في الإنسان، وبالتالي فهي تحاكي الاختيار، ثم الكوميديا أو الملهاة، وتصور الجوانب الدنيئة، لأنها تركز على ما يثير السخرية في تصرف الإنسان، وهذا بالضرورة ضرب من القبح، وتتفرع عن هذين الضربين الرئيسيين ضروب أخرى نبينها في الخطاطة الآتية مبينين مختلف الترجمات العربية لها.